

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة الجمعة لتاريخ 2012/12/14

الآيات المحكمات والآيات المتشابهات

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدى ورحمة فيه آيات متشابهات وأخر محكمات، فأناز به بصائر قوم وجعل قلوب قومٍ مَّقْفَلَةٌ، فمن هداه الله بفضله وفقه، ومن أضله الله فَعَدَلَهُ خَذَلَهُ، سبحانه تنزه عن الظلم وما شاء فعل، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد إمام البررة، وعلى آله الطيبين ومن على الإيمان صَحَبَهُ، وأشهد أن لا إله إلا الله المعبود بحق وحده، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله صلوات ربي عليه وعلى كل رسول أرسله.

أما بعد عباد الله فإني أوصيكم ونفسي بتقوى الله العلي العظيم القائل في محكم كتابه ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾¹.

إخوة الإيمان بين ربنا تبارك وتعالى أن القرآن فيه آيات محكمات وفيه آيات متشابهات، فأما المحكمات فهي التي دلالتها على المراد واضحة فلا تحتمل من التأويل بحسب وضع اللغة إلا وجهها واحدا أي معنى واحدا كقوله تعالى في القرآن الكريم ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾² (٥٩).

¹سورة آل عمران

²سورة الإخلاص

وقوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾³ وقد سمي الله تبارك وتعالى الآيات المحكمات بأُمّ الكتاب أي أمّ القرآن لأنها الأصل الذي تردّ إليه الآيات المتشابهات، وأغلب آيات القرآن محكمة.

وأما الآيات المتشابهة فهي التي لم تتضح دلالتها أي أنّ دلالتها على المراد غير واضحة وتحتل بحسب وضع اللغة العربية أوجها أي أكثر من معنى ويحتاج لمعرفة المعنى المراد منها إلى نظر أهل النظر والفهم الذين لهم دراية بالنصوص الشرعية ومعانيها ولهم دراية بلغة العرب فلا تخفى عليهم المعاني إذ ليس لكل إنسان يقرأ القرآن أن يفسره، ومثال ذلك قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾⁴ فإن كلمة (استوى) في لغة العرب تحتل خمسة عشر معنى فاحتيج إلى نظر العلماء لمعرفة المراد منها في هذه الآية.

ولأهل السنة إخوة الإيمان في تأويل المتشابه مسلکان كل منهما صحيح، مسلك أكثر السلف وهم أهل القرون الثلاثة الأولى فإنهم يؤولون المتشابهات تأويلا إجماليا بردها إلى الآيات المحكمات وذلك بالإيمان بها واعتقاد أن لها معنى يليق بجلال الله وعظمته بلا تعيين معنى ولا يفسروها على الظاهر المتبادر منها، فإذا سمعوا قول الله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٥) ردّوه إلى الآية المحكمة كقوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾ وعلموا أنّ المعنى الظاهر أي المتبادر إلى الذهن من قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٥) وهو الاستقرار أو الجلوس ليس مرادا ولا هو معنى الآية لكونه من صفات المخلوقات فهو مخالف للآية المحكمة ﴿ليس كمثله شيء﴾ فأؤلّوها تأويلا إجماليا فقالوا استوى استواء يليق به ليس جلوسا ولا استقرارا ولا يشبه أية صفة من صفات المخلوقين، وذلك كما قال الإمام الشافعي رضي الله عنه : ءامنّت بما جاء عن الله على مراد الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله اه

³سورة الشورى

⁴سورة طه

يعني رضي الله عنه لا على ما قد تذهب إليه الأوهام والظنون من المعاني الحسية الجسمية التي لا تجوز في حق الله.

والمسلك الثاني مسلك الخلف فهم يؤولونها تفصيلا بتعيين معان لها مما تقتضيه لغة العرب ولا يحملونها على ظواهرها أيضا موافقين للسلف في ذلك.

فالسلف والخلف متفقان على عدم الحمل على الظاهر ففي آية ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (٥) التي مثلنا بها قال السلف أي أكثرهم استوى بلا كيف أي استواء يليق بجلال الله وعظمته لا على المعنى الذي يكون من صفات المخلوقات أي لا على معنى الجلوس أو الاستقرار أو علو المكان، وأما أهل المسلك الثاني فقالوا استوى أي قهر وحفظ وأبقى لكون قهر من معاني استوى في لغة العرب ولكون هذا المعنى موافقا للآية المحكمة ﴿ليس كمثله شيء﴾ ولقوله تعالى ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ (١٨) ⁵.

ويقول بعض أهل الزيغ إن التأويل ممنوع وإن السلف ما استعملوه وهذا كلام باطل ومردود كيف وقد جاء في الصحيح عن سيد الكونين صلى الله عليه وسلم أنه قدم له ابن عباس وضوءه أي ماء الوضوء فقال صلى الله عليه وسلم "من فعل هذا؟" فقال قلت أنا يا رسول الله فقال "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" اه ولو كان التأويل محظورا مطلقا لكان هذا دعاء عليه لا له.

بل إن منع التأويل يؤدي إلى ضرب القرآن بعضه ببعض فلو أخذ بأخذ بظاهر الآية ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾ (٤) فاعتقد أن الله مع كل واحد بذاته أو اعتقد أن الله تعالى متحيز في كل مكان وأخذ بظاهر الآية ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (٥) فاعتقد أن الله جالس على

العرش لأدّى هذا إلى تناقض لأن معناه على الظاهر أن الله في جهة فوق على العرش وأنه مع كل واحد بذاته في كل الجهات ومنها جهة تحت في الأرض فيقع التناقض وحاشا أن يكون في القرآن تناقض فقد قال الله تعالى ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾⁶ أما لو رد هاتين الآيتين إلى الآية ﴿ليس كمثله شيء﴾ فأول الاستواء بالقهر أو قال له معنى يليق بالله ونفى عن الله المكان والجلوس والاستقرار على العرش وأول قوله تعالى ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾⁷ بالعلم أي أنه محيط بكم علما لكان في ذلك سلامة ونجاة لكونه موافقا للآية المحكمة ﴿ليس كمثله شيء﴾.

وماذا يقول من يمنع التأويل في قوله تعالى إخبارا عن سيدنا إبراهيم عليه السلام ﴿إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾⁷ وكان إبراهيم عليه السلام ذاهبا إلى فلسطين هل يقول بزعمه إن الله يسكن فلسطين أم سيؤول هذه الآية ليوافق الآية المحكمة ﴿ليس كمثله شيء﴾ وغيرها من الآيات المحكمات ومراد سيدنا إبراهيم إخوة الإيمان بقوله إني ذاهب إلى ربي أي إلى حيث أمرني ربي.

فيا أخي المسلم إن سمعت وقرأت آية في القرآن ظاهرها مخالف للآيات المحكمات فلا تتسرعن إن لم تكن سمعت تفسيرها ممن هو أهل لذلك وقل لها معنى يليق بالله وردها إلى الآيات المحكمة ولا تأخذ بظاهرها الذي قد يتبادر معناه إلى ذهنك مما يوهم تشبيه الله بخلقه. ورضي الله عن السيد أحمد الرفاعي الكبير القائل "صونوا عقائدكم من التمسك بظاهر ما تشابه من القرآن والسنة فإن ذلك من أصول الكفر" اهـ

هذا وأستغفرُ الله لي ولكم.

⁶سورة النساء

⁷سورة الصفات

الخطبة الثانية

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنُسْتَهْدِيهِ وَنَشْكُرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ الوَعْدِ الْأَمِينِ وَعَلَى إِخْوَانِهِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ. وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَالِ الْبَيْتِ الطَّاهِرِينَ وَعَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَعَنِ الْأَيِّمَةِ الْمُهْتَدِينَ أَبِي حَنِيْفَةَ وَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيَّ وَأَحْمَدَ وَعَنِ الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ أَمَّا بَعْدُ عِبَادَ اللَّهِ أَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ فَاتَّقُوهُ.

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَمَرَكُمْ بِأَمْرِ عَظِيمٍ، أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ فَقَالَ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦) سورة الْأَحْزَابِ. اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ بَجِيدٌ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾. سورة الْحُجِّ. اَللَّهُمَّ إِنَّا دَعَوْنَاكَ فَاسْتَجِبْ لَنَا دُعَاءَنَا فَاعْفِرِ اللّٰهُمَّ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا اللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ اللّٰهُمَّ اجْعَلْنَا هُدَاهُ مُهْتَدِينَ غَيْرِ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ اللّٰهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وَءَامِنْ رُوعَاتِنَا وَأَكْفِنَا مَا أَهَمَّنَا وَقِنَا شَرَّ مَا نَتَخَوَّفُ اللّٰهُمَّ اجْزِ الشَّيْخَ عَبْدَ اللَّهِ الْهَرَرِيَّ رَحْمَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَنَّا خَيْرًا. عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. اذْكُرُوا اللَّهَ الْعَظِيمَ يَتَّبِعْكُمْ وَأَشْكُرُوهُ يَرِدْكُمْ، وَأَسْتَغْفِرُوهُ يَعْفِرْ لَكُمْ وَأَتَّقُوهُ يَجْعَلْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَخْرَجًا، وَأَقِمِ الصَّلَاةَ.